

قراءة جديدة في مصدر إبريق محفوظ بالمتحف الوطني للأثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر
A New Reading into the Source of a Jug Preserved in the National Museum
of Ancient Antiquities and Islamic Arts in Algeria

الدكتورة: نادية بوكركسي

Dr: Nadia BOUKERSI

المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني للتسيير بقالة (الجزائر)

nadia.boukersi@univ-constantine2.dz

تاريخ النشر: 2024/11/28

تاريخ القبول: 2024/11/05

تاريخ الاستلام: 2024/04/21

الملخص: يعد المتحف الوطني للأثار القديمة والفنون الإسلامية بمدينة الجزائر أقدم المتاحف الجزائرية وأكثرها ثراء بالمقتنيات الأثرية، التي يعد الإبريق المعدني موضوع بحثنا واحدا منها، هذا الإبريق أشارت إليه بعض الدراسات المتخصصة ضمن المصنوعات الجزائرية، منها دراسة مقدمة من طرف الباحث بدر الدين شعباني بعنوان "المصنوعات المعدنية الجزائرية خلال العهد العثماني"، ودراسة أخرى للباحثة نبيلة آيت سعيد بعنوان "التحف المعدنية المحفوظة بالمتحف الوطني للأثار القديمة"، في حين تعرض هذه الورقة البحثية قراءة جديدة لمصدر هذا الإبريق، حيث من خلال التدقيق في الكتابات التسجيلية المنقذة عليه، لاسيما تلك المتعلقة بصانع الإبريق ومكان صنعه، اتضح القول بخلاف ما جاء في الدراسات السابقة، والتوصل إلى نتيجة هامة هي ترجيح أن يكون الإبريق موضوع الدراسة قد صنع في منطقة الحجاز ثم انتقل إلى الجزائر.

كلمات مفتاحية: متحف، فنون إسلامية، مصدر إبريق، كتابات تسجيلية، الجزائر.

Abstract

The National Museum of Antiquities and Islamic Arts in Algiers is the oldest Algerian museum and the richest in archaeological holdings, of which the metal jug is the subject of our research. This jug has been referred to in some studies that are specialized in Algerian manufactures, including a study submitted by researcher, Badreddine Chaabani entitled "Algerian Metal Crafts during the Ottoman Era", and another study by researcher Nabila Ait Said entitled "Metal Artifacts Preserved in the National Museum of Antiquities". This research paper presents a new reading of the source of this jug by checking the documentary writings executed on it especially those related to the maker of the jug and the place of its manufacture. To reach an important conclusion, it became clear that contrary to what has been stated in previous studies, it is likely that the jug under study was made in the Hijaz region and then moved to Algeria.

Keywords: Museum, Islamic Arts, Jug source, Record writings, Algeria.

1. مقدمة:

تحتوي متاحفنا الوطنية على مقتنيات أثرية متنوعة هي نتاج التعاقب الحضاري على بلادنا، ويعد المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بمدينة الجزائر أقدم المتاحف الجزائرية وأكثرها ثراء بهذه المقتنيات الأثرية، فهذا المتحف يضم بين ثناياه مجموعة من التحف الأثرية الشاهدة على التنوع والزخم الحضاري الذي شهدته بلادنا، وهي موزعة على جناحين، الأول مخصص لحفظ التحف العائدة إلى الحضارات القديمة، والثاني استحدث منذ عقدين وهو يضم مخزون أثري يعود إلى الفترة الإسلامية، يشمل منتجات فنية متنوعة منها الخشبية، والنسجية، والمعدنية.

ومن التحف المعدنية الجميلة التي يضمها جناح الفنون الإسلامية إبريق معدني أشارت إليه بعض الأبحاث والدراسات ضمن مجموعة من التحف المعدنية الأخرى، وقد صنف هذا الإبريق ضمن المصنوعات الجزائرية، ومن هذا المنطلق يمكن طرح إشكالية هذه الدراسة التي تتمحور حول البحث في قراءة جديدة لمصدر الإبريق المحفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية.

ويمكن إجمال أهداف هذه الدراسة في هدفين رئيسيين هما:

- التعرف بالمقتنيات الأثرية التي تحتفظ بها متاحفنا الوطنية بشكل عام، والمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر بشكل خاص، وذلك بالنظر إلى المخزون الأثري الهام المحفوظ بين جدران المتحف والذي يقف شاهدا على التعاقب الحضاري على بلادنا.

- إبراز أهمية الدراسات الخاصة بالفنون التطبيقية لا سيما الجانب الخزفي منها، والتي تساهم في تبيان مصدر بعض الفنون والفترة التي أنجزت فيها، لاسيما من خلال الخزارف أو الكتابات التسجيلية التي توضح صانع التحفة والفترة التي صنعت فيها، وبالتالي تمكنا من التعرف على جوانب مختلفة من المجتمع في تلك الفترة.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، لا سيما في الوصف العام للإبريق موضوع الدراسة وفي تحليل الكتابات التسجيلية المنفذة عليه، كما اعتمدنا على المنهج المقارن عند مقارنة هذا الإبريق مع إبريقين مشابهين له.

2. التعرف بالمتحف مكان حفظ الإبريق

يقع المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بمحيط حديقة الحرية إحدى أجمل الحدائق في الجزائر، في شارع كريم بلقاسم بمدينة الجزائر.

وتعود فكرة إنشائه إلى السيد بريوجر (Berbrugger) عام 1838، الذي فكر في إنشاء متحف للمجموعات الأثرية عندما أخذ غرفة خاصة في ثكنة الإنكشارية بشارع باب عزون، وضمها إلى المكتبة التي فتحت أبوابها عام 1835، ثم حصل في عام 1845 على عشر قاعات في قصر الجبينة لحفظ المجموعات الأثرية، وفي عام 1848 تم نقل المقتنيات الأثرية وعرضها في الطابق السفلي لمنزل تم هدمه عام 1862 أثناء أعمال التحصين، وفي عام 1863 أنشئ المتحف في قصر مصطفى باشا، حيث شغل الطابق الأرضي وإحدى الغرف في الطابق الثاني، أما الطابق الأول فقد خصص للمكتبة في عام 1896، بعد ذلك نُقلت المجموعات الأثرية إلى مرتفعات مصطفى باشا، إذ تم تشييد مبنى لهذا الغرض في حديقة نباتية تسمى حديقة الحرية وقد افتتح في 19 أبريل 1897، وفي عام 1905 تم إثراء المتحف بمقتنيات جديدة بعد معرض نظم في الجزائر العاصمة من نفس العام، وفي عام 2003 تم نقل مجموعات الفن الإسلامي وإعادة عرضها في المبنى الجديد الذي تم افتتاحه بمناسبة يوم المتحف العالمي المصادف للثامن عشر (18) ماي من كل عام . (anonyme، 2023)

ويحتوي المتحف على جناحان هما:

- **جناح الآثار القديمة:** يحتوي هذا الجناح على مقتنيات أثرية تعود إلى الحضارات المختلفة التي تعاقبت على الجزائر في القديم، إذ ترسم لنا هذه المقتنيات الحياة اليومية للإنسان في ذلك الزمن، حيث يضم المنحوتات، والفسيفساء، والأواني الفخارية، والمسكوكات، وبقايا الأعمدة، وغيرها من المقتنيات الشاهدة على الثراء والتنوع الحضاري ببلادنا في ذلك الوقت.

- **الجناح الإسلامي:** يحتوي هذا الجناح على نماذج من التحف الفنية المتنوعة التي خلفتها الدول الإسلامية التي شهدت بلادنا، حيث نحصي منها على وجه الخصوص منبر الجامع الكبير الذي يعود إلى الفترة المرابطية، ومطرزات، وأواني، وأدوات منزلية، وحلي وأدوات الزينة، وسيوف، وبنادق، تعود بشكل خاص إلى الفترة العثمانية وما تلاها من فترة المقاومات الشعبية للاحتلال الفرنسي.

3. الدراسات السابقة المُشيرة للإبريق

لقد أشارت بعض الدراسات والأبحاث الخاصة بالفنون التطبيقية إلى الإبريق موضوع هذه الدراسة واعتبرته من المنتجات الفنية التي صنعت بمدينة الجزائر، نذكر منها:

- الدراسة التي قدمها الباحث بدر الدين شعباني في شكل رسالة دكتوراه ناقشها سنة 2010 بعنوان "المصنوعات المعدنية الجزائرية خلال العهد العثماني (10-13هـ / 16-19م) -دراسة تقنية وفنية مقارنة" إذ قدم فيها دراسة وافية

للمصنوعات المعدنية الجزائرية التي تناول فيها نماذج من التحف المعدنية المحفوظة ببعض المتاحف الجزائرية، وقد كان الإبريق موضوع بحثنا أحد هذه النماذج.

وقد تمت الإشارة إلى هذا الإبريق عند تطرق الباحث إلى الكتابات التسجيلية المنفذة على الأواني النحاسية، فقد عُدَّ الإبريق في هذه الدراسة من المصنوعات المعدنية الجزائرية. (شعباني، 2010، صفحة 206)

- الدراسة التي قدمتها الباحثة نبيلة آيت سعيد في شكل رسالة ماجستير ناقشتها سنة 2009 موسومة بـ " التحف المعدنية العثمانية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة - دراسة أثرية فنية"، وقد ركزت الباحثة في الجانب التطبيقي لرسالتها على وضع بطاقات تقنية للتحف التي تناولتها هذه الدراسة، وقد تضمنت هذه البطاقات التقنية معلومات عن مصدر التحف.

وقد كان الإبريق موضوع دراستنا هذه ضمن التحف المدروسة، حيث ذُكر في البطاقة التقنية الخاصة به أن مصدره هو مدينة الجزائر. (سعيد، 2009، صفحة 218)

- مؤلف جماعي صادر عام 2009 عن المتحف الوطني للآثار القديمة مكان حفظ الإبريق بعنوان " الصناعات المعدنية الإسلامية من خلال مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة"، تناول هذا المؤلف الجماعي الإبريق موضوع بحثنا ضمن المجموعات المدروسة، وذكر فيه بأن مصدر هذا الإبريق هو مدينة الجزائر.

لقد وردت الإشارة إلى الإبريق في هذا المؤلف الجماعي في الجزء الخاص ببعض معروضات المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية من الصناعات المعدنية الإسلامية، حيث نُسب الإبريق إلى مدينة الجزائر. (جماعي، 2009، صفحة 74)

وقد تكون هذه الدراسات السالفة الذكر قد استندت إلى البطاقة التقنية للإبريق المحفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية التي جاء فيها أن مصدر هذه التحفة هو مدينة الجزائر، وهي نفس البطاقة التقنية التي اعتمدنا عليها في تحرير الجانب التقني للإبريق موضوع الدراسة.

4. الدراسة الوصفية التحليلية للإبريق

1.4. الوصف العام للإبريق

1.1.4. الجانب التقني



المادة: نحاس أحمر
تقنية الصناعة: الطرق والقولبة
أسلوب الزخرفة: الحز والاضافة
مكان الحفظ: المتحف الوطني
للآثار القديمة والفنون الإسلامية

رقم الجرد: II. Mi.044
التاريخ: 1150 هـ / 1737 م
التسمية: إبريق
الارتفاع: 36 سم
قطر الفوهة: 7,5 سم

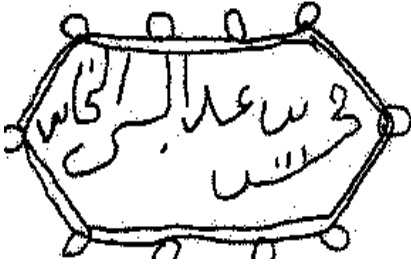
2.1.4. الجانب الشكلي:

الابريق مصنوع من النحاس الأحمر بتقنية الطرق والقولبة، يتكون من قاعدة قمعية يعلوها بدن كمثري الشكل ينتهي بفوهة متوجة بغطاء على شكل قبة مزينة بأخاديد، وفي أعلاها قبة صغيرة مخددة هي الأخرى، وهذا الغطاء موصول بمقبض مزين بخطوط مهشرة، يصل بين الرقبة والبدن، وفي الجهة العليا على جانبي المقبض ثبتت حلقتين لحمل معلاج الابريق الذي زود بصنبور منتفخ من جهة المصب، أما أسفل الابريق فقد زخرف بأشكال شبيهة بسفود المئذنة، تنتهي بأهلة تحمل شريطا يحيط بالابريق وقد زين بمضلعات ذات شكل خماسي، ويعلو هذا الشريط أربعة خراطيش سداسية الأضلاع تحتوي على كتابة منفذة بخط النسخ، وهي: «عمل الوثائق برب الناس» (اللوحة 01: الشكل: (أ))، و«محسن بن عبد النبي النحاس» (اللوحة 01: الشكل: (ب))، و«حرر ذلك تسع في شهر الحج المبارك» (اللوحة 01: الشكل: (ج))، و«في سنة ألف ومائة وخمسين» (اللوحة 01: الشكل: (د))، وهي كتابات دالة على صاحب التحفة وتاريخ صنعها، ويفصل بين هذه الخراطيش مقبض الابريق وصنبوره وحاملي حلقتي المعلاج، وتحيط بها زخارف هندسية بسيطة قوامها دوائر تحتوي على أربعة معينات، يعلوها شريط ثان أقل سمكا من الشريط الأول، يشكل قاعدة لصف من المثلثات، حيث يتوسط كل مثلث مستقيمان عموديان يلتف حولهما من الأسفل أنصاف دوائر تمتد طوليا على جانبي العمودين، وتنتهي قمة كل مثلث بشريط ثالث يحمل أشكالا سداسية منفذة عليه بشكل طولي إلى غاية فوهة الابريق.

ولم يغفل المزخرف زخرفة مقبض الابريق والصنبور وحاملي حلقتي المعلاج، حيث زين المقبض بخطوط مهشرة، وزين كل حامل بأشكال هندسية بسيطة تمثلت في الخطوط المستقيمة والمعينات والدوائر، أما الصنبور فقد زخرف بصف من المعينات المتسلسلة الواحد تلو الآخر وإلى جانبه خطوط متوازية بشكل أفقي وتمتد هذه الزخرفة إلى غاية مصب الصنبور المنتفخ نوعا ما والذي زخرف هو الآخر بخطوط حلزونية.



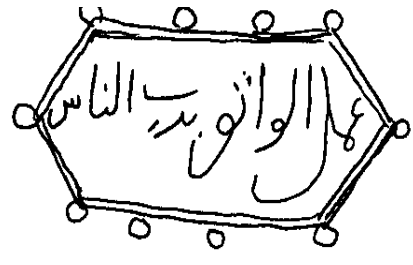
الشكل ب-



عن الباحثة



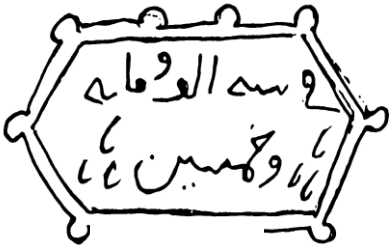
الشكل أ-



عن الباحثة



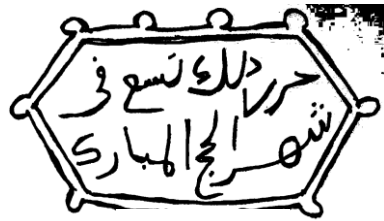
الشكل د-



عن الباحثة



الشكل ج-



عن الباحثة

اللوحة 01: كتابات تسجيلية منفذة على الابريق المحفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية

بالجزائر

2.4. الدراسة التحليلية

كما سبق ذكره فإن هذا الإبريق كان ضمن النماذج التي درست من طرف بعض الباحثين الذين أشاروا إليه ضمن المجموعات التي قاموا بدراستها، وقد أدرجوا هذا الإبريق ضمن التحف الجزائرية ، والأمر نفسه لاحظناه في البطاقة التقنية الخاصة بهذه التحفة عند اطلاعنا عليها أثناء زيارتنا للمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية مكان حفظ هذه التحفة، ولعل الذي دفع بالدراسات السابقة إلى القول بجزائرية الإبريق، هي عبارة «حرر ذلك في تسع الحج المبارك»، والتي قُرئت من طرف الباحثين الذين تناولوها بالدراسة كالتالي: «جزايرلك في تسع الحج المبارك» أي أن كلمة " حرر ذلك" فهمت على أنها "جزايرلك".

أما بالنسبة للأسباب التي جعلتنا نجزم بأن الإبريق ليس من صنع جزائري فإننا نوضحها كالتالي:

- إن مصطلح النحاس الذي ورد في عبارة «محسن بن عبد النبي النحاس»، لم يكن متداولاً بين الحرفيين الجزائريين في ذلك الزمن، بل مصطلح «الصفار» هو المصطلح الذي كان يطلق على من يمتن صناعة النحاس.

-إن الإبريق هو النموذج الوحيد ضمن نماذج الدراسة الذي كتب عليه تاريخ صنعه بالحروف وليس بالأرقام، وكتب فيه صانعه وليس مالكه أو صاحبه كما هو حال العديد من التحف التي يحتفظ بها المتحف الوطن للآثار القديمة والفنون الإسلامية.

- إن عبارة «حرر ذلك في تسع الحج المبارك» تقودنا إلى القول إن هذا الإبريق قد صنع بالبقيع المقدسة في فترة القيام بمناسك الحج، والذي عزز لدينا هذه الفرضية هو عثورنا على دراسة للباحث ياسر إسماعيل عبد السلام صالح بعنوان: «دراسة أثرية فنية لنماذج مختارة من التحف المعدنية العثمانية بمدينة الطائف» (صالح، 2015)، حيث تناولت الدراسة إبريقاً محفوظاً بمتحف الطائف الإقليمي (اللوحة رقم 02)، هذا الإبريق يكاد يتطابق في الشكل والزخرفة مع الإبريق موضوع دراستنا، ولا يختلف عنه إلا في بعض الأشياء الصغيرة جداً التي قد لا ينتبه لها من يرى هذه التحفة لأول مرة، منها تاريخ صناعة الإبريق، حيث أن تاريخ صناعة الإبريق موضوع دراستنا هو في التاسع من شهر الحج المبارك سنة 1150 هـ، والإبريق الثاني الوارد في دراسة الباحث السالف الذكر مؤرخ في 28 شهر رجب الفرد سنة 1144 هـ، كما أن للإبريقين الارتفاع نفسه تقريباً، فالإبريق الأول ارتفاعه (36 سم) والإبريق الثاني ارتفاعه (35 سم)، والأهم أن صانعهما هو الصانع نفسه وهو محسن أو حسن بن عبد النبي النحاس.

كما ذكر الباحث ياسر إسماعيل عبد السلام صالح أن المتحف الوطني بصنعاء يحتفظ بإبريق آخر يحمل توقيع الصانع حسن بن عبد النبي أيضا، ومؤرخ بربيع الأول سنة 1143هـ الموافق 14 سبتمبر 1730م، ونفذت عليه الكتابات التالية: «عمل الواثق برب الناس حسن بن عبد النبي النحاس» و«حرر ذلك في غرة ربيع الأول من سنة ألف ومائة وثلاثة وأربعين» (شيحة، 1987، صفحة 131)، (أنظر الصورة رقم (01)). وتحدث الباحث ذاته كذلك عن تشابه الأسلوب الفني للإبريقين بشكل كبير من حيث التصميم العام، والحجم الكلي، والزخرفة. وهكذا فإنه استنادا للقرائن المرجحة نجزم أن يكون الإبريق موضوع الدراسة قد صنع في منطقة الحجاز أيام الحج المباركة، ثم انتقل بطريقة ما إلى الجزائر، وبهذا فالإبريق ليس من صنع جزائري كما هو متداول.



اللوحة 02: زخارف كتابية منفذة على الإبريق المحفوظ بمتحف الطائف الإقليمي

المصدر: ياسر إسماعيل عبد السلام صالح، على الرابط: <https://doi.org/10.4000/cy.2825>



الصورة 01: الإبريق المحفوظ بالمتحف الوطني بصنعاء

المصدر: مصطفى عبد الله شيحة، مدخل إلى العمارة، 1987، ص.210.

5. خاتمة:

في خاتمة هذه الدراسة يمكن القول إننا حاولنا عرض قراءة جديدة في مصدر إبريق محفوظ بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر، حيث تطرقنا في البداية إلى التعريف بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية الذي يُحفظ فيه الإبريق موضوع الدراسة إلى جانب تشكيلة ثرية من المقتنيات الأثرية الشاهدة على تعاقب حضارات مختلفة ومتنوعة على بلادنا، ثم تناولنا بعض الدراسات والبحوث التي أشارت إلى الإبريق ونسبته في مجملها إلى مدينة الجزائر، إلى أن وصلنا إلى الدراسة الوصفية التحليلية التي عرضنا فيها وصفا دقيقا للإبريق خاصة فيما تعلق بالكتابات التسجيلية المنفذة عليه والتي قدمنا لبعضها قراءة مخالفة لما ذكرته الدراسات

السابقة، تلاه مقارنة بين هذا الابريق وإبريقين مشابهين له محفوظان بمتحف الطائف الإقليمي، والمتحف الوطني بصنعاء، وهي المقارنة التي عززت رأينا، مما أدى بنا إلى تقديم قراءة جديدة في مصدر الابريق المدروس، وبهذا فان النتيجة الهامة التي توصلنا إليها في الأخير هي ترجيح أن يكون هذا الابريق قد صنع في منطقة الحجاز أيام الحج المباركة، ثم انتقل بطريقة ما إلى الجزائر، سواء عن طريق الحجاج أو التجارة أو بطرق أخرى.

6. قائمة المراجع:

- جماعي، مؤلف (2009) ، الصناعات المعدنية الإسلامية من خلال مجموعة المتحف الوطني للآثار القديمة، المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر.
- آيت سعيد، نبيلة، (2009) ، التحف المعدنية العثمانية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة دراسة أثرية فنية، معهد الآثار، الجزائر.
- شعباني، بدر الدين (2010) ، المصنوعات المعدنية الجزائرية خلال العهد العثماني (13-10هـ/19-16م) - (دراسة تقنية وفنية مقارنة " ، معهد الآثار، الجزائر.
- شيحة، مصطفى عبد الله، (1987) ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في جمهورية اليمن، كالة اسكرين للدعاية والتجهيز الفني، القاهرة.
- صالح، ياسر إسماعيل عبد السلام، (2015) ، دراسة أثرية فنية لنماذج مختارة من التحف المعدنية العثمانية بمدينة الطائف، Récupéré sur Arabian Humanities: <https://doi.org/10.4000/cy.2825> (consulte le 04-11-2020)
- Anonyme. (2023). Récupéré sur Musée national des Antiquités et des Arts Islamiques : <https://musee-antiquites.art.dz/presentation/>